تصوير القرآن
للإنسان بين الضعف والتكريم
(دراسة موضوعية)

الباحث
صالح عايد رشيد

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732
August 2026
مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

تقديم

للقرآن الكريم مكانةً فريدة في حياة الأمة الإسلامية احتلها فى النفوس دون منازع، فهو كتاب الهداية والبيان، وهو مصدر المعرفة الربانية التي ترسم للإنسان طريقه في الوجود ؛ وتكشف له عن حقيقته وقدراته؛ وحدود ضعفه ؛ وميادين تكريمه فهو كلام الله تعالى ؛ ودستور الخالق لخلقه ؛ ولا جدال الصانع يعرف صنعته وما تحتاج إليه .

ومن بين أبرز القضايا التي اعتنى بها القرآن اعتناءً جلياً قضية الإنسان ؛ والإنسان احدى مخلوقات الخالق، إلا أنه تعالى خلقه وميزه عن خلقه جميعا ؛ فجعله ذلك المخلوق المكرّم ؛ وجعله الله سبحانه خليفة في الأرض، وأودع فيه من النفخة الروحية والقدرة العقلية ما يؤهّله للقيام برسالته، كما بيّن له مواضع ضعفه البشري ليكون على وعي دائم بحاجته إلى هداية الله ورحمته.

لقد قدّم القرآن الكريم تصويراً متوازناً للإنسان، يجمع بين بيان جوانب الضعف التي جبل عليها من نزوعٍ إلى العجلة، والضعف، والنسيان، والجدل، وبين جوانب التكريم التي منحه الله إياها من عقلٍ، وحرية اختيار، وتسخيرٍ للكائنات، ورفعةٍ في المكانة بين المخلوقات. وهذا التصوير القرآني العميق لا يهدف إلى مجرد الوصف، بل يرسم إطاراً تربوياً ومعرفياً يوجّه الإنسان إلى معرفة ذاته، وتحقيق عبوديته لربه، وعمارة الأرض وفق منهج الله.

وتسعى هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح هذا التصوير القرآني المتكامل للإنسان بين ضعفه وتكريمه، وبيان مكانة الإنسان في القرآن الكريم، وكيف أسهم هذا التصوير في بناء رؤية شاملة للإنسان تُعلي قيمته، وفي الوقت نفسه تُرشده إلى نقاط ضعفه ليعمل على تزكيتها ومعالجتها. ومن خلال استقراء الآيات القرآنية المرتبطة بالإنسان، تُبرز الدراسة عمق النظرة القرآنية للكيان البشري، وتكامله، وواقعيته، بما يجعل القرآن مرجعاً أساسياً في فهم طبيعة الإنسان ودوره في الحياة .

وبهذ الدراسة سعينا لتوضيح مكانة الإنسان المخلوق عند الله تعالى الخالق فاشتملت على:

تمهيد: بينت فيه مشكلة الدراسة ولماذا تطرقنا إليها ؛ فقد وصف القرآن الكريم الإنسان بعدة أوصاف تتراوح بين الضعف الخَلقى والضعف الخُلقي وتكريم الله تعالى له مع ضعف كونه خُلقا وخِلْقة .

ثم كان الفصل الأول تحت عنوان: تصوير القرآن للإنسان ضعفاً وتكريماً بين الأهمية والأهداف، وبينت فيه أهمية هذه الدراسة التصويرية والأهداف منها دينيا وأدبيا، وجاء ذلك من خلال مطلبين:

المطلب الأول: بيان أهمية تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم: وكان هذا البيان بالتوضيح عدة نقاط هي:

- إبراز حقيقة التوازن في النظرة القرآنية إلى الإنسان .
- أهمية الدراسة في بناء الوعي الإيماني .
- فهم التكريم وأثره في بناء منظومة القيم والأخلاق .
- إبراز البعد التربوي في تصوير القرآن لضعف الإنسان .
- إبراز مكانة الإنسان في منظومة الوجود .
- الأثر المعرفي في العلوم الإنسانية .

المطلب الثاني: أهداف دراسة تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم: وقمت ببيان هذه الأهداف من خلال نقاط تفسرها هي:

- إبراز حقيقة الإنسان بين أصل ضعيف وتكريم رفيع .
- الكشف عن الحكمة من ابتلاء الإنسان وضعفه .
- ترسيخ قيم التكريم الإلهي وتمكين الإنسان من دوره الاستخلافي .
- بيان التوازن النفسي والسلوكي في النظرة القرآنية للإنسان .
- تعميق فهم الخطاب القرآني وتفسير مقاصده التربوية .
- بناء وعي أخلاقي يحقق التكريم عبر السلوك .
- دعم الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة بمنهج قرآني .

ثم جاء الفصل الثاني بعنوان: ما هو الضعف ؟ وما هو التكريم؟ وفيه مطالب عدة هي:

المطلب الأول: ما هو الضعف ؟ وتبين المقصود من الضعف من خلال رؤى أثبتناها هي:

أولا: التعريف: وتناولته فى اللغة والاصطلاح والشرع .

ثانياً: مظاهر الضعف الإنساني في القرآن الكريم: وتنازلت الحديث فيه من حيث الضعف الجسدي؛ ثم الضعف النفسي؛ ثم الضعف أمام الشهوات.

ثالثا: الحكمة من وصف الإنسان بالضعف في القرآن .

المطلب الثاني ما هو التكريم ؟ ووضحت مفهوم التكريم من خلال عدة نقاط هي:
أولا: التعريف: لغة واصطلاحا وشرعاً .
ثانيا: صور التكريم الإلٰهي للإنسان في القرآن الكريم
ثالثا: الفرق بين التكريم العام والتكريم الخاص
المطلب الثالث: العلاقة بين المفهومين (الضعف - التكريم في الرؤية القرآنية، وتبينت العلاقة التكاملية بين الضعف والتكريم بواسطة النقاط التالية:
أولًا: الضعف والتكريم في البناء المفهومي القرآني .
ثانيًا: العلاقة التكاملية بين الضعف والتكريم .
ثالثًا: اجتماع الضعف والتكريم في الوظيفة الإنسانية .
رابعًا: مظاهر التوازن بين الضعف والتكريم في القرآن .
خامسًا: البعد التربوي للعلاقة بين الضعف والتكريم .
أما الفصل الثالث فكان عنوانه: المنهج الموضوعي في دراسة القضايا القرآنية وجاء عرض الفصل من خلال مطالب أربعة هي:
المطلب الأول: مفهوم المنهج الموضوعي، واستعرضنا ذلك المطلب فى عدة نقاط هي:
أولًا: تعريف المنهج لغةً واصطلاحًا .
ثانيًا: تعريف المنهج الموضوعي .
ثالثًا: نشأة المنهج الموضوعي وتطوّره .
رابعًا: أسس المنهج الموضوعي .
خامسًا: خطوات المنهج الموضوعي .
سادسًا: مجالات تطبيق المنهج الموضوعي .
سابعًا: أهمية المنهج الموضوعي .
ثامنًا: الفرق بين المنهج الموضوعي والمنهج التحليلي .
المطلب الثاني: خطوات تطبيق المنهج الموضوعي على وصف القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم، وبيان هذه الخطوات اتبعت عدة نقاط هى:
أولا: مدخل لتوضيح أهمية المنهج الموضوعي في دراسة تصوير القرآن للإنسان .
ثانيا: مفهوم تطبيق المنهج الموضوعي في الدراسات القرآنية .

ثالثا: خطوات تطبيق المنهج الموضوعي على وصف الإنسان بين الضعف والتكريم .

رابعا: مبررات ومميّزات اعتماد المنهج الموضوعي في ...

دراسة تصوير القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم .

خامساً: أثر المنهج الموضوعي في إبراز العلاقة بين الضعف والتكريم .

المطلب الثالث: تصوير القرآن للإنسان في جانب الضعف، واحتوى فى بيانه عدداً من النقاط هى:

أولا: صورة الضعف الجبلي فى الإنسان .

ثانيا: صور الضعف الأخلاقي والسلوكي .

المطلب الرابع: تصوير القرآن للإنسان في جانب التكريم، واعتمدت في بيان أسس تكريم القرآن الكريم للإنسان على عدة نقاط ذكرناها فيما يلي:

أولا: أسس تكريم الإنسان في القرآن الكريم.

ثانيا: مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم .

ثالثا: التكريم في القرآن الكريم بالتكليف والهداية .

رابعاً: التكامل بين الضعف والتكريم في التصوير القرآني .

وبعد الرحلة الطويلة جهدا القصيرة لتمنى النفس العيش أكثر فى رحابة الدراسة القرآنية يأتى دور أهم نتائج دراسة تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم والتوصيات والمقترحات، يلى ذلك المراجع التى اعتمدت عليها في دراستى التى كنت أتمنى لها أن تطول وتطول.

تمهيد:

مشكلة الدراسة: وفيها نستوضح كيف صوّر القرآن الكريم الإنسان بين الضعف والتكريم ؛ وبيان أبعاد هذا التصوير وآثاره فنقول: إن القرآن الكريم يقدم رؤية متوازنة للإنسان، تجمع بين ضعفه واحتياجه من جهة ؛ وبين تكريمه واصطفائه من جهة أخرى، وهذا التوازن التربوي والمعرفي فى تقديم الرؤية يجعل الإنسان يدرك قدره الحقيقي، ويتعامل مع نفسه ووجوده بوعي ومسؤولية، واستشعرنا هذه المشكلة من خلال عدة نقاط نثبتها فيما يلى:

أ: تصوير القرآن لضعف الإنسان:

١ - الضعف عند الخِلقة: قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١)، فالآية تشير إلى ضعف الإنسان في بنيته وقدراته مقارنة بسائر المخلوقات، تحليل المفسّرين: يذكر ابن كثير أن هذا الضعف يشمل ضعف البدن، وضعف العزم أمام الشهوات(٢).

٢. وفى موضع آخر: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾ (٣)، وقد فسّر الطبري «أمّارة بالسوء» بضعف الإنسان أمام الشهوات قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾ (٤)، ثم أنها بطبعها ميّالة إلى الشهوات إلا من عصمه الله(٥) .

٣. ضعف الإنسان أمام الشدائد: قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾ (٦)، فالإنسان يجزع ويضعف عند المصائب إذا لم يتحصّن بالإيمان.

ب: تصوير القرآن لتكريم الإنسان:

١. التكريم بالخِلقة والتسوية: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٧)، فالإنسان خُلق في أكمل هيئة عقلية وروحية وجسدية. ويذكر الفخر الرازي أن أحسن تقويم تشمل العقل والقدرة على التمييز وحرية الاختيار(٨).

(١) النساء / ٢٨ .
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ٢٠٠٢، ج٢، ص٣٤٧ .
(٣) يوسف / ٥٣ .
(٤) الإسراء / ١٠٠ .
(٥) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، دار هجر، ٢٠٠١، ج١٦، ص١٣٥ . .
(٦) المعارج / ٢٠ .
(٧) التين / ٤ .
(٨) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب (التفسير الكبير ، دار إحياء التراث، ج٣٢، ص٨٥ .

٢. التكريم بالتشريف الإلهي: قال تعالى ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (١)، ويذكر القرطبي أن هذا التكريم يشمل: العقل - النطق - التميز بالخلقة - تسخير الكون له(٢) .

٣. التكريم بالخلافة في الأرض: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣)، فالخلافة تعني القيام بعمارة الأرض وفق منهج الله ومراعاة مصالح الخلق.

ت: أبعاد التصوير القرآني للإنسان:

لتصوير القرآن الكريم للإنسان أبعاد مختلفة ؛ فالله تعالى خالق الإنسان، والقرآن الكريم كلام الله تعالى خالق الإنسان ؛ فعندما يصوره خالقه القدير من أي زاوية يصور ويصف وصفا لا يتغير ؛ فهو سبحانه الخالق والعالم بخلقه، وفى السطور القادمة نبين كيف صوره ووصفه خالقه من جهات مختلفة فتح الله علينا بها.

١. البعد العقدي: يُظهر القرآن أن الإنسان فقير إلى الله ؛ فقال سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ واللهُ هو الغنى الحميد﴾ (٤)، ومع فقره الي الله تعالى هو مكرّم عند الله بما وهبه من قدرات عقلية وروحية، وهذا يرسّخ مفهوم العبودية الواعية لا العبودية الاضطرارية.

٢. البعد الأخلاقي والتربوي: التوازن بين الضعف والتكريم يعني أن تواضع الإنسان ينبغي أن ينبع من إدراك ضعفه، وأن سمو أخلاقه ينبغي أن ينبع من علمه بتكريمه ورفعة مكانته.

٣. البعد الاجتماعي: حين يدرك الإنسان أنه ضعيف فقير محتاج إلى الله تعالى ؛ وفي نفس الوضع هو مُكرَّم منه سبحانه ومكرّم منه سبحانه ؛ عليه أن يعامل الآخرين برحمة لأنه يدرك ضعفهم، ويحترمهم لأن الله كرّمهم، فقد قال سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٥) .

٤. البعد العملي والسلوكي: وعلى هذا التصوير يترتب عدة أشياء نراها:

* تحمّل المسؤولية باعتباره خليفة في الأرض.
* الاستعانة بالله لأنه ضعيف أمام الشهوات والابتلاءات.

(١) الإسراء / ٧٠ .
(٢) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ١٩٦٧، ج١٠، ص٢٠١ .
(٣) البقرة / ٣٠ .
(٤) فاطر / ١٥ .
(٥) الإسراء / ٧٠ .

* التوازن النفسي بين الطموح والتواضع.
* ترشيد السلوك لأن الله كرّم الإنسان ولم يخلقه لعبث.

ومن هذا التقديم البسيط يتضح لنا أن القرآن يقدم نظرة فريدة للإنسان:

* فهو ضعيف محتاج بذاته.
* مكرّم مشرَّف بربه .

وهذا التوازن يجعل الإنسان:

* واعيًا بمكانته.
* ومسؤولًا في سلوكه.
* ورحيمًا في معاملاته.
* ومهذبًا في طموحاته.

فيتحقق بذلك البناء المتكامل للإنسان في العقيدة والأخلاق والاجتماع والعمل.

الفصل الأول
تصوير القرآن للإنسان ضعفاً وتكريماً بين الأهمية والأهداف

المطلب الأول: بيان أهمية تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم

نال الإنسان مكانة مركزية في الخطاب القرآني منذ بداية خلق الإنسان ونزول القرآن، إذ جعله الله خليفة في الأرض، وفضّله على كثيرٍ من خلقه، وفي ذات الوقت أبرز القرآن الكريم حقيقة ضعف الإنسان كمخلوق، فبيَّن حاجته الدائمة إلى ربه خالقه، وأن هذا الضعف هو باب للهداية لا للنقص!.

ومن هنا كانت أهمية دراسة تصوير القرآن للإنسان، لأن هذا التصوير يقدم رؤية متكاملة لطبيعة الإنسان ووظيفته وغايته، ويوضح كيف هو ضعيف وكيف هو مُكَرَّم من ربه في آن واحد، ويوازن بين عنصر التكريم ومنزلة الضعف. وتهدف هذه د إلى إبراز أهمية هذا الموضوع (تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم ؛ وذلك من خلال بيان أثره في فهم حقيقة الإنسان ؛ وتوجيه سلوكه، وتستوضح هذه الأهمية من خلال النقاط التالية .

أ: إبراز حقيقة التوازن في النظرة القرآنية إلى الإنسان:

أظهر القرآن الكريم تكريم الله تعالى الإنسان من جهة؛ ومع تكريمه أظهر أنه ضعيف من جهة أخرى، وأظهر كذلك أن التكريم لا ينفي الضعف، والضعف لا يُبطل التكريم ؛ بل كلاهما جزء من بنيته الخَلقية والغاية التربوية من وجوده، قال تعالى في موضع بيان التكريم: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (١)، وفي إظهار الضعف يقول سبحانه: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٢).

وإنّ دراسة هذا التوازن في ذكر الضعف والتكريم ؛ وبيان ذلك تُسهم في فهم الرؤية القرآنية؛ بعيداً عن الإغراق في المثالية ؛ أو المبالغة في النظرة التشاؤمية، وقد ذكر ابن عاشور أنّ «القرآن يجمع بين بيان فضل الإنسان وما يعتري طبيعته من الضعف ليدرك موقعه في

(١) الإسراء / ٧٠ .
(٢) النساء / ٢٨ .

الكون إدراكاً سوياً» (١) .

ب: أهمية الدراسة في بناء الوعي الإيماني:

تُبين نصوص القرآن الكريم أن إدراك الإنسان بسبب من ضعفه يقوده إلى التوجه إلى ربه!؛ وإلى اتساع دائرة الخضوع، وهذا هو ما يكوّن أساس الوعي الإيماني. فقد جاء في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (٢)، ويؤكد الغزالي في إحياء علوم الدين أن إدراك الفقر الذاتي والضعف أصلٌ في تزكية النفس وتهذيبها(٣)، وبذلك فإن دراسة هذا الجانب من تصوير القرآن للإنسان تُنمّي الوعي بحقيقة افتقار الإنسان إلي الله تعالى، وتضبط علاقته بربه على أساس العبودية الكاملة .

ت: فهم التكريم وأثره في بناء منظومة القيم والأخلاق:

لتكريم الإنسان في القرآن أبعاد تكوينية وتشريعية وأخلاقية ؛ عند النظر والتدبر فيها، فهو المبدأ الذي تُبنى عليه قيم العدالة والحرية والمسؤولية، وفي ذلك يقول الرازي: «التكريم أصل في الشريعة، منه تتفرع سائر الحقوق التي تُحفظ للإنسان «(٤)، وعلي ذلك الأساس فإن دراسة تصوير القرآن لتكريم الإنسان تُنشئ وعياً حقوقياً ينسجم مع التصور الشرعي، وتبعث على احترام النفس البشرية، وتحفز على تنمية قدراتها في إطار الخلافة.

ث: إبراز البعد التربوي في تصوير القرآن لضعف الإنسان:

بيّن القرآن مظاهر الضعف، مثل النزوع إلى العجلة، والجهل، والهلع، والجدل، كما في قوله تعالى: ﴿وَيَدعِ الإنسان بالشر دعاؤه بالخير وَكَانَ الْإِنسَانُ عَجُولًا﴾ (٥)، وفى موضع آخر يقول سبحانه: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إذا مسه الشر جذوعا * وإذا مسه الخير منوعا * إلا المصلين﴾ (٦) .

(١) التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس، ج١٠، ص١٨٤.
(٢) فاطر / ١٥ .
(٣) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت، ج٣، ص ٢٢١ .
(٤) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢١، ص٨٨ .
(٥) الإسراء / ١١ .
(٦) المعارج / ١٩: ٢٢ .

وفى ذلك يقول د. سيد قطب موضحاً أن ذكر هذه الصفات ليس ذماً خالصاً، وإنما «كشف لطبيعة الإنسان ليستعدّ للتزكية ويتهيأ للعلاج» (١)، ونتبين من ذلك أن فهم المربّين والدعاة والمتخصصين في التربية الإسلامية هذا البعد التوضيحى يُعينهم على إدراك طبيعة النفس الإنسانية، مما يجعل الخطاب الدعوي والتربوي أكثر واقعية وفعالية.

ج: إبراز مكانة الإنسان في منظومة الوجود:

تؤكد آيات القرآن الكريم ؛ وخاصة الآيات الخاصة بالخلق والتسخير أن الإنسان محورٌ في النظام الكوني، وأن المخلوقات جميعها مسخرة لخدمته، كما قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا منه إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون﴾ (٢)، وعلى ذلك يقول الفخر الرازي إن دراسة هذه الآيات «ترفع الإنسان إلى إدراك مقامه في الكون وتذكره بغاية وجوده دون غرور أو استعلاء» (٣)، فالتكريم الإلهي تكريم في شمولية من جميع الجوانب، ومعرفة الإنسان بذلك وفهمه له تمكّنه من إدراك رسالته فى الأرض التي استخلفه الله تعالى بها، وتُنمّي لديه الشعور بالمسؤولية الأخلاقية والاجتماعية.

ح: الأثر المعرفي في العلوم الإنسانية:

أصبح موضوع «الإنسان» محوراً مركزياً في العلوم الاجتماعية ؛ كالفلسفة وعلم النفس وعلم الاجتماع، ودراسة تصوير القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم تمنح وتُغني هذه العلوم بإطار معرفي رباني سليم، وإلى ذلك يشير محمد عبد الله دراز فيرى ونحن معه أن «التصور القرآني للإنسان يقدّم منهجاً متكاملاً يمكن أن يُبنى عليه علم نفس أخلاقي متميز» (٤)، وهذا يبرز أهمية البحث بالنسبة إلى طلاب الدراسات الإسلامية والعلوم الإنسانية على السواء.

ونختم الحديث عن أهمية الدراسة فى هذا المجال فنقول: إن دراسة تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم ليست مجرد بحث في مفهوم عقدي ؛ بل هي دراسة إنسانية شاملة لجوهر النفس البشرية ووظيفتها الكونية، فالإنسان بذلك بين بين ؛ التكريم يرفعه إلى مقام المسؤولية والاستخلاف، أما الضعف فيذكّره بحقيقته وحدوده، ليبقى بين الرجاء والخوف، وبين العزيمة

(١) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، ج٥، ص٣٠١٥ .
(٢) الجاثية / ١٣ .
(٣) مفاتيح الغيب، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج٢٧، ص١٤٥ .
(٤) النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت، ص١٣٢ .

والتوبة، وإدراك هذا التوازن من شأنه أن يصنع إنساناً سوياً متوازناً، عارفاً بربه، موقناً بكرامته، مدركاً لحدوده، عاملاً على تحقيق الغاية من خلقه.

المطلب الثاني: أهداف دراسة تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم

نال الإنسان في القرآن الكريم عناية خاصة متفردة عن جميع المخلوقات، فقد قدّمه كتابُ الله في صورة متكاملة الأبعاد، صورة جمعت بين ضعف التكوين، وشرف التكريم، وعمق المسؤولية !، والوقوف على أهداف دراسة هذا التصوير القرآني للإنسان تكوينه وصفاته مدخلًا مهمًّا لفهم طبيعة الإنسان ووظيفته في الوجود، فلا يمكن إدراك فلسفة القرآن في بناء الفرد والمجتمع دون أن نفهم طريقة تقديمه للإنسان وموقعه بين الضعف البشري بكل معانيه والتكريم الإلهي لهذا المخلوق الضعيف التكوين، وتستند هذه الدراسة إلى تحليل نصوص قرآنية، وطرائق المفسرين والبلغاء في الكشف عن دقائق هذا التصوير، وهو ما يعين على إدراك مقاصد الخطاب القرآني في توجيه الإنسان وتربيته، وهذا الموطن نستوضحه من خلال النقاط التالية.

أ: إبراز حقيقة الإنسان بين أصل ضعيف وتكريم رفيع:

من أبرز أهداف دراسة تصوير القرآن للإنسان الوقوف على منزلة الإنسان الحقيقية؛ إذ يجمع القرآن بين بيان ضعف أصل خلقه من تراب وماء مهين، وبين تكريمه بالعقل والروح والحرية، قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١)، وفي موضع آخر يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٢)، ففي الأول يبين سبحانه ضعف الإنسان، وفي الموضع الثاني يتعطف عليه ويكرمه ويفضله على كثير من خلقه سبحانه، ويؤكد الزمخشري أن الجمع بين الأصل الحقير والتكريم الإلهي «يصوّر عِظَم النعمة على الإنسان، ويُنشئ في نفسه توازنًا بين التواضع والاعتزاز» (٣)، ويمكننا القول أنه سبحانه يهدف من وراء ذلك أن يبني وعيًا قرآنيًا بشريًا متوازنًا، لا يطغى بالقدرة، ولا ينهار تحت الضعف.

(١) النساء آية ٢٨ .
(٢) الإسراء / ٧٠ .
(٣) الزمخشري، جار الله. الكشاف عن حقائق التنزيل. دار الكتاب العربي، ج٣، ص١٥١ .

ب: الكشف عن الحكمة من ابتلاء الإنسان وضعفه:

يركّز القرآن على أن ضعف الإنسان جزء من الحكمة الإلهية في ابتلائه وتربيته، فالضعف دافع للاستعانة بالله، وبذل الجهد في مقاومة الشهوات والهوى، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ هَلُوعًا﴾ (١)، وفي هذه الآية يشير ابن عاشور كما اوضحها سابقا إلى أن الوصف بها «ليس ذمًّا محضًا، بل بيان لخصلة تُربّيها الشريعة بالتهذيب» (٢)، ونتبين أن الهدف من ذلك هو فهم فلسفة الابتلاء الإنساني، والسعي نحو تفسير سلوك الإنسان وضعفه من منظور شرعي.

ت: ترسيخ قيم التكريم الإلهي وتمكين الإنسان من دوره الاستخلافي:

والاستخلاف والتكريم تيسيرا للقيام بأعباء الاستخلاف ؛ هو من أعظم أهداف دراسة التصوير القرآني للإنسان هو إدراك تكريمه بالخلافة في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٣)، وفى ذلك يتحدث الرازي فيرى أن هذا التكريم قائم على «العقل، وحرية الاختيار، والقدرة على العلم» (٤)، ونستوضح الهدف من ذلك أنه تربية الشعور بالمسؤولية والالتزام بمقاصد الشرع في عمارة الأرض وتحقيق العدل .

ث: بيان التوازن النفسي والسلوكي في النظرة القرآنية للإنسان:

الناظر بتدبر في الخطاب القرآني يجد أنه لا يقدّم الإنسان مَلَكًا معصومًا ولا مخلوقًا ساقطًا ؛ بل يوازن بين ضعف النفس وقوّة الإيمان، ويجمع القرآن الكريم بين وصف الإنسان ب ضعف الإرادة حين يقول سبحانه وتعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ ۚ وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (٥)؛ فيجمع بين هذا الوصف بالضعف ووصفه بالتكريم والرقي حين يبين سبحانه وصفه بالقابلية للرقي الإيماني والأخلاقي فيقول عز مِن قائل: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا۝ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا۝ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا۝ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾ (٦)، ويقول سيد قطب فى توضيح ذلك: «هذا التوازن

(١) المعارج / ١٩ .
(٢) ابن عاشور، محمد الطاهر. التحرير والتنوير. الدار التونسية للنشر، ج٢٩، ص١٣٢ .
(٣) البقرة / ٣٠ .
(٤) فخر الدين الرازى، التفسير الكبير. دار الفكر، ج٢، ص ١٨٩ .
(٥) النساء / ٢٨ .
(٦) الشمس / ٧: ١٠ .

يربّي إنسانًا واقعيًا، يعرف نفسه، ويعرف طريق الارتقاء بها» (١)، ويتضح الهدف من ذلك في بناء شخصية معتدلة، قادرة على مجاهدة النفس دون يأس أو غلو.

ج: تعميق فهم الخطاب القرآني وتفسير مقاصده التربوية:

تصوير القرآن للإنسان وتحليل ذلك مجال مهم من مجالات التفسير الموضوعي ؛ فهو يثري بدقة الفهم الدقيق لمقاصد التربية القرآنية من جهات معينة هى:

- توجيه الإنسان إلى معرفة نفسه. - إدراك طبيعة علاقته بالله. - فهم وظيفته في الحياة.

حين يبين أن «الإنسان في القرآن كائن ذو رسالة، وكل وصف من أوصافه مرتبط بتلك الرسالة» (٢)، ونتبين من هذا الهدف: ربط الصفات الإنسانية بالمقاصد الشرعية، وتعزيز فهم الحكمة من الأوامر والنواهي.

ح: بناء وعي أخلاقي يحقق التكريم عبر السلوك:

تكريم الإنسان في القرآن ليس منحة ربانية للجميع ؛ بل هو خاص لفئة دون غيرها؛ فلا يُمنح التكريم من الله تعالى للإنسان لمجرد خلقه، بل يُستحق بالسلوك والعمل الصالح، ويوضح ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٣)، ويزيد ايضاحا لذلك قول ابن كثير في شرح هذه الآية الكريمة أن الآية «تُبطِل كل أنواع العصبية البشرية، وتجعل معيار التفاضل تقوى الله» (٤)، ونستفيد بهذا الهدف: تأسيس قيمة أخلاقية عالمية في النظرة إلى الإنسان .

خ: دعم الدراسات النفسية والتربوية المعاصرة بمنهج قرآني:

يسهم تصوير القرآن للإنسان إسهاما واسعا في تقديم إطار مرجعي متوازن في مجالات علم النفس المختلفة ؛ والتربية ؛ والأخلاق ؛ وذلك من خلال أمرين هامين هما:

- تفسير نزعات الخوف، والطمع، والهلع، والضعف. - إحياء القيم التي تحقّق للإنسان الطمأنينة والقوة.

(١) سيد قطب في ظلال القرآن، دار الشروق، ج٦، ص ٣٤٥٠ .
(٢) محمد عبد الله دراز. النبأ العظيم. دار القلم. ص٢٠٥ .
(٣) الحجرات / ١٣ .
(٤) ابن كثير، إسماعيل بن عمر. تفسير القرآن العظيم. دار طيبة، ج٤، ص٣٥٠ .

وفي ذلك يقول محمد عبد الله دراز: «لن تجد في غير القرآن وصفًا للإنسان يجمع التشريح النفسي والتوجيه التربوي معًا» [1]، ونستفيد من هذا الهدف: إثراء الدراسات الإنسانية برؤية ربانية عميقة.

ونختتم الحديث فى الأهداف من دراسة تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم ؛ أن هذه الدراسة ليست مجرد بحث وصفي، بل هي مفتاح أساس لفهم وظيفة الإنسان في الكون ؛ وإدراك قيمته ؛ وحدود قدرته؛ ومسؤولياته، وذلك يتم من خلال الوقوف على هذه الأهداف، والوقوف عليها تتضح المعالم الكبرى للخطاب القرآني في بناء الإنسان الإيماني والأخلاقي والاجتماعي. ويُظهر القرآن للإنسان ضعفه ليوقظه، ويكشف تكريمه ليرفعه، ويجمع بينهما ليبني إنسانًا متوازنًا، يعرف حدود نفسه ورفعة رسالته .

ومن الطبيعي أن تكون البداية إطاراً نظرياً ومنهجياً لتصوير القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم، فنبدأ بتعريف الضعف والتكريم لغة واصطلاحا ؛ وهذا ما سيكون الحديث عنه في الفصل الآتي .

(١) محمد عبد الله دراز. النبأ العظيم. دار القلم. ص ٢٠٩ .

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

الفصل الثاني
ماهو الضعف ؟ وما هو التكريم؟

المطلب الأول: ما هو الضعف ؟

يُعدُّ مفهوم الضعف من المفاهيم المحورية في التصور القرآني للإنسان؛ إذ يجمع بين البعد الفطري التكويني، والبعد النفسي والسلوكي، والبعد التعبدي. وقد وصف القرآن الكريم الإنسان بالضعف في أكثر من موضع، لا على سبيل الإهانة، بل على سبيل البيان لحقيقته، وتذكيره بحاجته الدائمة إلى ربه. وتتناول هذه المقالة تعريف الضعف لغويًا واصطلاحًا وشرعًا، مع بيان دلالته في القرآن الكريم، والتوثيق العلمي لذلك .

أولا: التعريف: * تعريف الضعف لغة: جاء الضعف في اللغة بمعنى: الوهن، وقلة القوة، ونقيض الشدة، وفى ذلك يقول ابن فارس: «الضاد والعين والفاء أصلٌ يدلُّ على خلاف القوّة» (١)، أما ابن منظور فيقول في معجمه: «الضَّعف: الوَهَن في القوة، ويقال: ضَعُف يَضعُف ضَعفًا» (٢)، كذلك الزبيدي لم يذهب بعيدا عنهما فقال فى تاج العروس: «الضعف ضد القوّة في البدن، والرأي، والعزم» (٣)، ونخلص لغوياً من هذا الحوار وغيره أن الضعف في أصل معناه اللغوي يدل على:

* نقص القوة الجسدية . * وهن الإرادة والعزم . * عجز الرأي والتدبير .

** تعريف الضعف اصطلاحًا: فى الاصطلاح العام هو: «حالة من القصور عن القيام بالفعل على وجهه الكامل، سواء في الجسد أو النفس أو الفكر» ، وقد عرَّفه بعض الباحثين المعاصرين بأنه: «عجز الإنسان عن تحقيق مقاصده الذاتية لقصور في قدراته الجسمية أو النفسية أو العقلية» (٤)، ويُستفاد من التعريفات الاصطلاحية أن: الضعف ليس محصورًا في الجسد فقط ؛ بل يشمل النفس والفكر والعزيمة .

(١) مقاييس اللغة، ج٤، ص ٣١٨.
(٢) لسان العرب، مادة (ضعف ، ج٩، ص ٢٠٤.
(٣) تاج العروس، مادة (ضعف ، ج٢٣، ص ٤٣٤.
(٤) محمد شلبي، علم النفس القرآني، ص ١١٢.

*** تعريف الضعف شرعًا: ١ - صور الضعف في القرآن الكريم: الضعف في الشرع هو: وصفٌ لحقيقة الإنسان من حيث أصل خلقته وحاجته وعجزه الذاتي عن الاستقلال بنفسه دون معونة الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١)، وقال الطبري في توضيح ذلك: «ضعيفًا عن الصبر على الشهوات، ضعيفًا عن ترك الهوى» (٢)، أما القرطبي فيق: «أي لا يملك لنفسه ضرًّا ولا نفعًا إلا بإذن الله» (٣).

٢ - الضعف في السنة النبوية: قال النبي ﷺ: «المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف» (٤) ؛ وفى توضيح هذا الحديث يقول النووي: «المراد بالقوة قوة الإيمان والعزيمة» (٥) .

ثانياً: مظاهر الضعف الإنساني في القرآن الكريم

١ - الضعف الجسدي: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِن ضَعْفٍ﴾ (٦)، قال ابن كثير فى توضيح المقصود من هذه الآية الكريمة: «أي من نطفة ضعيفة، ثم ضعف الطفولة» (٧) .

٢ - الضعف النفسي: قال تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولًا﴾ (٨)، وفي تفسير ذلك يقول الرازي: «العجلة ضعف في ضبط النفس» (٩) .

٣ - الضعف أمام الشهوات: أما هذه الخصخصة فالبحر فيها سواء قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١٠)، ويوضح المقصود منها أبو حيان الأندلسي فيرى أن «الضعف هنا راجع إلى ضعف الإنسان أمام شهواته» (١١) .

(١) النساء / ٢٨ .
(٢) جامع البيان، ج٨، ص ٤٩٢.
(٣)] الجامع لأحكام القرآن، ج٥، ص ٣٩٨.
(٤) رواه مسلم، كتاب القدر، حديث رقم ٢٦٦٤.
(٥) شرح صحيح مسلم، ج١٦، ص ٢١٦.
(٦) الروم / ٥٤ .
(٧) تفسير ابن كثير، ج٦، ص ٣٠٧.
(٨) الإسراء / ١١ .
(٩) مفاتيح الغيب، ج٢١، ص ٢١.
(١٠) النساء / ٢٨ .
(١١) البحر المحيط، ج٣، ص ٢٤٨.

ثالثا: الحكمة من وصف الإنسان بالضعف في القرآن:

١. بيان حقيقة الإنسان وعدم غروره بنفسه. ٢. غرس معنى التوكل على الله.

٣. التخفيف عنه في التكاليف الشرعية. ٤. دعوة الإنسان إلى الاستعانة بالله في مقاومة الشهوات.

قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ (١) .

ومن خلال هذا العرض يتضح لنا أن الضعف صفة أصيلة في التكوين الإنساني من حيث اللغة والاصطلاح والشرع، وهو ليس سُبَّةً في حق الإنسان، بل هو باب من أبواب العبودية، يدعوه إلى الاعتماد على الله وطلب العون منه. وقد جاء وصف الإنسان بالضعف في القرآن ليؤكد حقيقة افتقاره الدائم إلى خالقه، وليوازن بين ضعفه الطبيعي وتكريمه الإلهي.

المطلب الثاني: ما هو التكريم ؟

يُعدُّ التكريم من أعظم القيم التي أسَّس لها القرآن الكريم في نظرته إلى الإنسان؛ إذ قرَّر أن الإنسان مخلوق مكرَّم في أصل خلقته ؛ وعقله ؛ ورسالته في الوجود، وقد جاء هذا التكريم الإلهي شاملًا لكل البشر، مؤمنهم وكافرهم، من حيث الخِلقة والإنسانية، ثم يزداد للمؤمنين بالطاعة والتقوى، وتهدف هذه الصفحات إلى بيان مفهوم التكريم لغويًا واصطلاحًا وشرعًا، مع بيان صور التكريم الإلهي للإنسان في القرآن الكريم، وبين سطورنا المتواضعة ننسى الدنيا ومع القرآن الكريم وفيوضاته علينا نحيا .

أولا: التعريف: * تعريف التكريم لغويًا:

التكريم مشتق من مادة (كرم التي تدل على الشرف والفضل والرفعة، يقول ابن فارس: «الكاف والراء والميم أصلٌ يدل على شرف في الشيء في نفسه» (٢)، أما ابن منظور فيقول: «الكَرَمُ نقيض اللؤم، والكريم: الشريف في نفسه» (٣)، وأما الزبيدي فتعريفه للتكريم شامع لكل أنواع الخير ؛ إذ يقول: «الكريم هو الجامع لأنواع الخير والشرف» (٤).

(١) النحل / ٥٣ .

(٢) مقاييس اللغة، ج٥، ص ١٧١.

(٣) لسان العرب، مادة (كرم ، ج١٢، ص ٥١٠.

(٤) تاج العروس، مادة (كرم ، ج٣٢، ص ١١٠.

والخلاصة اللغوية من هذه التعريفات وغيرها الكثير ؛ إذ يختلف التعريف على حسب لهجة الشخص فيختلف فى اللفظ ويتفق فى المعنى، ومن هنا نستطيع القول بأن التكريم في اللغة يدور حول:

- الشرف والرفعة. - العطاء بلا مقابل. - التفضيل والتمييز في المنزلة .

* تعريف التكريم اصطلاحًا: يُعرَّف التكريم في الاصطلاح بأنه: «منحُ الإنسان منزلةً رفيعةً وقيمةً ساميةً بين المخلوقات لما يمتلكه من خصائص عقلية وأخلاقية» ، ويُعرِّفه بعض الباحثين المعاصرين فيقول: «التكريم هو الإعلاء من شأن الإنسان ماديًا ومعنويًا بما يجعله محل احترام وتقدير» (١) .

* تعريف التكريم شرعًا:

١ - التكريم في القرآن الكريم: التكريم شرعًا هو: إظهار فضل الله على الإنسان باصطفائه بالعقل، وتسخير الكون له، وحمله للأمانة، وتهيئته للخلافة في الأرض، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٢)، قال الطبري في ذلك:» أي شرفناهم بالعقل، وحُسن الصورة، وتسخير الدواب» (٣)، وقال القرطبي: «التكريم يتناول جميع وجوه التفضيل في الخِلقة والرزق والعقل» (٤)، وأيضا في هذا الموضوع قال ابن كثير: «كرَّمه بالعقل، والكلام، والاعتدال في الخلق» (٥).

٢ - التكريم في السنة النبوية: قال النبي ﷺ: «إنَّ الله خلق آدم على صورته» (٦)؛ قال ابن حجر في توضيح الحديث: «فيه بيان عظيم شرف الإنسان» (٧) .

(١) عبد الرحمن حبنكة الميداني، الإنسان بين المادية والإسلام، ص ٨٥.
(٢) الإسراء / ٧٠ .
(٣) الطبري، جامع البيان، دار هجر، ج١٥، ص ٩٩.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ج١٠، ص ٢٦٩.
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ج٥، ص ٩٠.
(٦) رواه البخاري، كتاب الاستئذان، حديث رقم ٦٢٢٧.
(٧) ابن حجر، فتح الباري، دار المعرفة، ج١١، ص ٦.

ثانياً: صور التكريم الإلٰهي للإنسان في القرآن الكريم

١ - تكريم الإنسان بالعقل: قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (١)، قال الرازي: «العقل هو أصل التكريم الإنساني» (٢) .

٢ - تكريم الإنسان بحسن الخِلقة: قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (٣)، قال ابن عاشور:» أي في أعدل صورة وأكمل هيئة» (٤) .

٣ - تكريم الإنسان بالخلافة في الأرض: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٥)، قال الطبري في تفسير ذلك: «أي قائمًا بأوامر الله في الأرض» (٦) .

٤ - تكريم الإنسان بتسخير الكون له: قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾ (٧)، قال القرطبي: «هذا من أعظم دلائل تكريم الإنسان» (٨).

ثالثا: الفرق بين التكريم العام والتكريم الخاص

التكريم العام: يشمل جميع البشر من حيث الخِلقة والعقل.

التكريم الخاص: يختص بالمؤمنين بسبب الإيمان والطاعة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (٩)، قال ابن كثير: «هذا تكريم زائد على أصل الكرامة الإنسانية» (١٠) .

ومن هذا العرض أن التكريم قيمة تأسيسية في التصور القرآني للإنسان، فهو مخلوق مكرَّم في ذاته، بعقله، وخِلْقته، ووظيفته في الأرض. وهذا التكريم لا يتعارض مع وصف الإنسان بالضعف، بل يجتمعان ليكوِّنا صورة متكاملة للإنسان بين الافتقار إلى الله من جهة، والتشريف الإلهي من جهة أخرى.

(١) البقرة / ٣١ .
(٢) الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، ج٢، ص ١٨٤.
(٣) التين / ٤ .
(٤) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ج٣٠، ص ٤١٨.
(٥) البقرة / ٣٠ .
(٦) جامع البيان، ج١، ص ١٨٦.
(٧) الجاثية / ١٣ .
(٨) الجامع لأحكام القرآن، ج١٦، ص ١٦٤.
(٩) الحجرات / ١٣ .
(١٠) تفسير ابن كثير، ج٧، ص ٣٥٥.

المطلب الثالث: العلاقة بين المفهومين (الضعف - التكريم في الرؤية القرآنية.

جاء التصور القرآني للإنسان متوازنًا جامعًا بين عنصرين متقابلين ظاهرًا، متكاملين حقيقة، هما: الضعف والتكريم؛ فالإنسان ضعيف في أصل خلقته وتكوينه النفسي والجسدي، ومكرَّم في ذاته وعقله ووظيفته في الوجود، وهذه الثنائية ليست تناقضًا، بل هي سُنَّة إلهية في بناء الإنسان، تقوم على الجمع بين الافتقار إلى الله، والتشريف بالاستخلاف، لذا فإن هذه الدراسة تهدف إلى بيان طبيعة العلاقة بين المفهومين في الرؤية القرآنية ؛ ونتبين ذلك فيما يلى ...

أولًا: الضعف والتكريم في البناء المفهومي القرآني

١ - الضعف أصل في طبيعة الإنسان: قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (١)، قال الطبري فى هذه الآيةالكريمة: «ضعيفًا عن الصبر على الشهوات ومقاومة الهوى» (٢)، وقال ابن عاشور: «الضعف وصف ملازم للإنسان من حيث جبلته» (٣) .

٢ - التكريم أصل في مكانة الإنسان: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء / ٧٠ ، قال القرطبي: «التكريم يشمل العقل، وحسن الصورة، وتسخير الموجودات» (٤)، وقال ابن كثير: «كرمه بالعقل والكلام والانتصاب» (٥) .

* إذن: الضعف وصف تكويني، والتكريم وصف تشريفي.

ثانيًا: العلاقة التكاملية بين الضعف والتكريم

١ - الضعف شرط الشعور بالتكريم: إن شعور الإنسان بالتكريم لا يتحقق إلا بإدراكه لضعفه؛ لأن:

من لا يشعر بعجزه لا يستشعر فضل الله ... ومن لا يعترف بضعفه لا يطلب العون.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (٦)، قال الرازي: «الفقر إلى الله هو عين كمال العبودية» (٧).

(١) النساء / ٢٨ .
(٢) الطبري، جامع البيان، دار هجر، ج٨، ص ٤٩٢.
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، الدار التونسية، ج٥، ص ٤٥.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ج١٠، ص ٢٦٩.
(٥) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ج٥، ص ٩٠ .
(٦) فاطر / ١٥ .
(٧) الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، ج٢٦، ص ٢٢١ .

٢ - التكريم علاج للضعف: جعل الله التكريم الإلهي وسيلة لرفع الإنسان من درك الضعف [بالتكليف لا بالإهمال - وبالرسالات لا بالإهمال - وبالعقل لا بالغريزة فقط] ، قال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ (١)، وفى تفسير ذلك يقول ابن كثير: «هذا من أعظم وجوه تكريم الإنسان» (٢) .

ثالثًا: اجتماع الضعف والتكريم في الوظيفة الإنسانية: ولذلك صور عدة نتخيلها فيما يلى:

١ - الضعف في الخِلقة والتكريم في الوظيفة: قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (٣)، وفى توضيح الآية الكريمة يقول الطبري: «الخلافة تقتضي التشريف مع الافتقار إلى المعونة» (٤) .

٢ - الضعف في النفس والتكريم بالتشريع: قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (٥)، قال القرطبي: «هذا التخفيف من مظاهر رحمة الله بضعف الإنسان» (٦) .

رابعًا: مظاهر التوازن بين الضعف والتكريم في القرآن

مجال	الضعف	التكريم
الخِلقة	{الله الذى خلقكم من ضعف ...} (الروم / ٥٤)	{لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم} (التين / ٤)
النفس	{...وكان الإنسان عجولا} (الإسراء / ١١}	{علَّم الإنسان ما لم يعلم} (العلق / ٥)
الإرادة	{وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا} (النساء / ٢٨ أمام الشهوات.	{إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ} (الأحزاب / ٧٢ مكلف مختار.
المصير	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ (فاطر / ١٥ ضعيف وحده.	إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ (الحجرات / ١٣ مُكَرَّم بالطاعة.

(١) الأحزاب / ٧٢ .
(٢) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، دار طيبة، ج٥، ص ٩٠؛ ج٦، ص ٤٥٧.
(٣) البقرة / ٣٠ .
(٤) الطبري، جامع البيان، دار هجر، ج١، ص ١٨٦ .
(٥) النساء / ٢٨ .
(٦) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، ج٥، ص ٣٩٩ .

قال ابن القيم: «الإنسان بين ضعف الافتقار وشرف العبودية» (١) .

خامسًا: البعد التربوي للعلاقة بين الضعف والتكريم

١. تربية الإنسان على التواضع. ٢. منع الغرور والاستعلاء. ٣. تعميق التوكل على الله .

٤. تحقيق التوازن. ٥. تحفيز الإنسان على الارتقاء مع ضعف طبيعته. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا﴾ (٢)، قال الرازي: «الهون ثمرة الجمع بين الضعف والتكريم» (٣) .

سادسًا: العلاقة الجدلية بين الضعف والتكريم

* الضعف يضبط التكريم حتى لا يتحول إلى كِبْر . * الضعف باب العبودية .

* التكريم يرتقي بالضعف حتى لا يتحول إلى يأس . * التكريم وسام الاستخلاف .

قال الشاطبي: «الإنسان مكرم بالتكليف، ضعيف عن الاستقلال» (٤) .

وخلاصة لهذا الحديث نرى أن العلاقة بين الضعف والتكريم في الرؤية القرآنية علاقة تكامل لا تضاد؛ فالإنسان ضعيف في ذاته، مكرَّم في غايته، ضعيف في قدرته، عظيم في رسالته. وبقدر ما يعترف الإنسان بضعفه، يرتقي في مراتب التكريم الإلهي. وهذا التوازن الدقيق هو سرُّ عظمة التصوير القرآني للإنسان.

(١) ابن القيم، مدارج السالكين، دار الكتاب العربي، ج٢، ص ٣٢٧.

(٢) الفرقان / ٦٣ .

(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث، ج٢٤، ص ٦٨ .

(٤) الشاطبي، الموافقات، دار المعرفة، ج٢، ص ٩.

مجلة العلوم الإسلامية
المجلد 1 | العدد 43
www.isscj.edu.iq

Journal of Islamic Sciences
Vol.1 | Issue 43
ISSN: 2225-9732

August 2026

الفصل الثالث
المنهج الموضوعي في دراسة القضايا القرآنية

المطلب الأول: مفهوم المنهج الموضوعي

ونبدأها الحديث في توضيح مفهوم المنهج الموضوعي، وذلك فى النقاط التالية:

أولًا: تعريف المنهج لغةً واصطلاحًا:

١ - المنهج لغةً: جاء في لسان العرب أن «المنهج: الطريق الواضح المستقيم» (١) .

٢ - المنهج اصطلاحًا: هو «الطريق المنظّم الذي يسلكه الباحث للوصول إلى نتائج علمية دقيقة» (٢).

ثانيًا: تعريف المنهج الموضوعي:

١ - تعريفه العام: هو «طريقة في البحث تقوم على دراسة الموضوع دراسة شاملة مستقلة، بعيدًا عن التحيّز الذاتي، وبالاعتماد على القواعد العلمية الدقيقة» (٣) .

٢ - تعريفه في الدراسات الإسلامية: هو «دراسة قضية من القضايا القرآنية أو الحديثية دراسة كلية، بجمع نصوصها كلها، ثم تحليلها لاستخراج الرؤية الشاملة للموضوع» (٤) .

٣ - تعريفه في الدراسات اللغوية والأدبية: هو «المنهج الذي يتناول الظاهرة الأدبية أو اللغوية من حيث هي موضوع مستقل، فيدرس عناصرها دراسة تحليلية تركيبية» (٥) .

ثالثًا: نشأة المنهج الموضوعي وتطوّره: يرجع المنهج الموضوعي في صورته الحديثة إلى تطوّر العلوم الإنسانية في القرن التاسع عشر، عندما بدأ العلماء في تجاوز الدراسات الجزئية إلى: - النظرة الكلية. - تتبع الظاهرة في جميع صورها.

---

(١) ابن منظور، لسان العرب، مادة (نهج ، ج ٢، ص ٣٨٣، دار صادر، بيروت.

(٢) محمد عبيدات، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، ص ٢٨، دار المسيرة، عمّان، ٢٠١٠م.

(٣) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ٦٣، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤م.

(٤) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ١٦، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.

(٥) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص ٥٧، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م .

وفي الدراسات القرآنية ظهر بوضوح في العصر الحديث مع: - الشيخ محمد عبده. - وتلميذه رشيد رضا. - ثم توسّع على يد مصطفى مسلم[١] .

رابعًا: أسس المنهج الموضوعي: يقوم المنهج الموضوعي على مجموعة من الأسس العلمية، أهمها:

١. الاستقراء الشامل للنصوص المرتبطة بالموضوع[٢].

٣. التركيب والاستنتاج بعد التحليل[٣] .

٢. التحليل العلمي الدقيق دون تحيّز[٤].

٤. الربط بين الجزئيات للوصول إلى الكليات[٥] .

خامسًا: خطوات المنهج الموضوعي: تمرّ الدراسة الموضوعية بعدّة مراحل:

١. اختيار الموضوع وتحديد حدوده بدقة.

٢. جمع المادة العلمية المتعلقة به استقراءً.

٣. تصنيف النصوص وترتيبها.

٣. تحليل النصوص تحليلًا علميًّا دقيقًا.

٥. استخلاص النتائج والرؤية الشاملة للموضوع[٦] .

سادسًا: مجالات تطبيق المنهج الموضوعي: يُستخدم المنهج الموضوعي في مجالات متعددة، منها:

١. الدراسات القرآنية: كدراسة موضوع الإنسان، أو الضعف، أو التكريم

٢. الدراسات الحديثية.

٣. الدراسات اللغوية: كدراسة ظاهرة صرفية أو دلالية.

٤. الدراسات الأدبية: كدراسة صورة البطل، أو الزمن، أو المرأة[٧] .

---

(١) مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص ٩–١١، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م.

(٢) محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، ص ٣٢١ دار الفكر العربي، القاهرة.

(٣) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص ٦١.

(٤) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ٦٥.

(٥) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ١٩.

(٦) مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص ٢٥–٣٠.

(٧) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، ص ٥٤–٥٨.

سابعًا: أهمية المنهج الموضوعي: تظهر أهمية المنهج الموضوعي في:

١. تقديم رؤية كلية شاملة للموضوع. - ٢. تحرير الباحث من التجزئة والتكرار.

٣. المساعدة على استخلاص القوانين العامة.

٤. تحقيق الترابط بين النصوص والمعاني. - ٥. تقريب المادة العلمية للدارس بأسلوب منظم(١).

ثامنًا: الفرق بين المنهج الموضوعي والمنهج التحليلي(٢):

وجه المقارنة	المنهج الموضوعي	المنهج التحليلي
طريقة النظر	كلية شاملة	جزئية مفصّلة
الهدف	استخراج الرؤية العامة	تفسير النص تفصيليًا

ويتضح أن المنهج الموضوعي من أهم المناهج الحديثة في البحث العلمي، لما يمتاز به من الشمول، والدقة، والترابط، والتكامل، وقد أسهم إسهامًا واضحًا في تطوير الدراسات القرآنية واللغوية والأدبية، وأصبح ضرورة منهجية لكل باحث يسعى إلى الرؤية الكلية العميقة للظواهر العلمية .

المطلب الثاني: خطوات تطبيق المنهج الموضوعي على ...

وصف القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم

أولا: مدخل لتوضيح أهمية المنهج الموضوعي في دراسة تصوير القرآن للإنسان

يُعدُّ المنهج الموضوعي من أنسب المناهج لدراسة القضايا القرآنية الكبرى، ومنها قضية الإنسان التي عالجها القرآن من زاويتين متكاملتين: * زاوية الضعف . * زاوية التكريم.

(١) انظر: عبدالرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي ص٧٠، وانظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٢١

(٢) انظر: محمد عبيدات، البحث العلمي، ص ٤٥.

وهذه المنهجية تمكن الباحث من الوصول إلى الرؤية القرآنية المتكاملة للإنسان بعيدًا عن التجزئة أو الاقتصار على موضع واحد(١) .

ثانيا: مفهوم تطبيق المنهج الموضوعي في الدراسات القرآنية

المقصود بتطبيق المنهج الموضوعي: «تتبّع موضوع معيّن في القرآن الكريم بجمع جميع آياته، ودراستها في سياقها، ثم استخلاص التصور القرآني الكلي لهذا الموضوع» (٢) .

ثالثا: خطوات تطبيق المنهج الموضوعي على وصف الإنسان بين الضعف والتكريم

الخطوة الأولى: تحديد موضوع الدراسة بدقة: يبدأ الباحث بتحديد موضوعه تحديدًا جامعًا مانعًا، فيقال: «وصف القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم» ويُحدَّد فيه(٣):

- الإنسان من حيث طبيعته. - ملامح الضعف. - مظاهر التكريم.

الخطوة الثانية: جمع الآيات المتعلقة بالموضوع استقراءً: يتم جمع جميع الآيات التي تناولت ضعف الإنسان مثل: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء / ٢٨ ، وجمع آيات تكريم الإنسان مثل: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء / ٧٠ ، وغيرها من الآيات المنتشرة في سور متعددة(٤) .

الخطوة الثالثة: ترتيب الآيات وتصنيفها موضوعيًا: وبعد الجَمْعِ، تُرتَّب الآيات تصنيفًا موضوعيًّا، مثل:

* آيات الضعف الجِبلِّي. * آيات الضعف النفسي. * آيات ضعف الإرادة والشهوة.
* آيات التكريم العقلي. * آيات التكريم الروحي. * آيات التكريم الخِلَافي والاستخلافي(٥) .

الخطوة الرابعة: دراسة الآيات في سياقها القرآني: لا تُدرس الآيات بمعزل عن سياقها، بل:

- السياق اللفظي. - السياق الموضوعي. - سياق السورة كلها.

(١) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص١٥–١٧، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م / وانظر أيضا محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج٢ص٤٧٨، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٥م.

(٢) مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م، ص ٢٦.

(٣) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، وكالة المطبوعات، الكويت، ص ٦٤.

(٤) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٣٠–٣١، وانظر أيضا: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص٣٣١، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٥) انظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص ٣٣، وكذلك انظر: فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ث٤٤٥، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٧م.

فمثلًا: آية الضعف التى جاءت في سياق التشريع والتيسير: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء / ٢٨ ، وهذا يربط بين الضعف والتشريع[١] .

الخطوة الخامسة: الرجوع إلى أقوال المفسرين: لا يكتفي الباحث بفهمه الذاتي، بل يهتم بعرض أقوال المفسرين؛ وليس الموافقين رأيه فقط ؛ بل المخالفين لرأيه أيضا لمناقشة الرأى بالرأى، ويعرض لأهم كتب التفسير المشهورة؛ مثل:

* تفسير الطبري. * القرطبي. * ابن كثير. * الرازي.

الخطوة السادسة: التحليل الموضوعي والمقارنة: ويتم تحليل مظاهر الضعف في جانب من البحث ؛ مظاهر التكريم في جانب آخر ؛ ثم تُستخلص العلاقة التكاملية:

* فالقرآن لا يذكر ضعف الإنسان لتحقيره، بل لبيان حاجته إلى ربه .

* ولا يذكر تكريمه للغرور، بل لتحمُّل الأمانة والخلافة[٢] .

الخطوة السابعة: التركيب واستخلاص النتائج: وفيها تُستخلص القاعدة الكبرى:

الإنسان في الرؤية القرآنية: مكرَّم في الأصل - ضعيف في الطبع - عظيم في الرسالة.

وتظهر معالم التصور القرآني:

* ضعف جسدي ونفسي. *؛تكريم بالعقل. * تكريم بالعبودية. *: تكريم بالاستخلاف[٣] .

الخطوة الثامنة: عرض النتائج في صورة متكاملة: يتم إخراج البحث في صورة: (فصول أو مباحث، مع: توثيق الآيات؛ تخريج الأقوال؛ ضبط النتائج[٤] .

ومن هنا فإنه يُعدّ تطبيق المنهج الموضوعي على وصف القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم من أنجح الأساليب العلمية التي تكشف: * دقة التصوير القرآني. * التوازن بين الحقيقة الواقعية (الضعف).

(١) الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٩٩، دار المعرفة، بيروت، وانظر أيضا: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٧٩ دار الفكر، بيروت.

(٢) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص٤٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٣) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٤١.

(٤) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ٧١ .

* شمول النظرة الإلهية للإنسان. * الغاية التكريمية (الخلافة والتشريف .

رابعا: مبررات ومميّزات اعتماد المنهج الموضوعي في ...

دراسة تصوير القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم

تمثّل قضية الإنسان إحدى القضايا المركزية في الخطاب القرآني، حيث صوّره القرآن في بعدين متكاملين:

١ - بعد الضعف: من حيث الخِلقة، والعجز، والشهوة، والحاجة.

٢ - بعد التكريم: من حيث العقل، والروح، والخلافة، والتسخير.

ولمّا كانت هذه القضية ممتدة في سور القرآن وآياته كافة، كان المنهج الموضوعي هو الأقدر على الإحاطة بها وكشف الرؤية القرآنية المتكاملة[١]، ومن هنا نتناول مبررات استخدام المنهج الموضوعي وأثر استخدامه كمنهج معتمد ؛ ونتناول ذلك فى النقاط التالية .

أ: مبررات اعتماد المنهج الموضوعي في دراسة تصوير الإنسان بين الضعف والتكريم:

١ - امتداد موضوع الإنسان في القرآن كله: لم يقتصر الحديث عن الإنسان في موضع واحد، بل توزّع في: [آيات الخلق. - آيات التكريم. - آيات الضعف. - آيات التكليف] وهذا الامتداد لا يستوعبه المنهج التجزيئي، وإنما يحتاج إلى منهج استقرائي موضوعي شامل[٢] .

٢ - تلازم الضعف والتكريم في الرؤية القرآنية: القرآن يجمع بين: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء / ٢٨ ، وبين ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء / ٧٠ ، ولا يمكن فهم هذه الثنائية إلا عبر الجمع والتحليل والمقارنة، وهو جوهر المنهج الموضوعي[٣] .

٣ - الحاجة إلى رؤية كلية متكاملة للإنسان: والمنهج الموضوعي كلي فلا يدرس الإنسان في بعده الجسدي فقط ؛ ولا في بعده الروحي وحده ؛ بل يجمع بين الخلق، والتكريم، والتكليف، والضعف، والمصير[٤] .

(١) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ١٣–١٥ دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.

(٢) انظر: مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص ٢٥، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م، وكذلك انظر: مناع القطان، مباحث في علوم القرآن، ص ٣٣٠، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

(٣) فهد الرومي، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، ص ٤٤٣، مكتبة التوبة، الرياض، ١٩٩٧م .

(٤) محمد حسين الذهبي، التفسير والمفسرون، ج ٢، ص ٤٧٨، دار الحديث، القاهرة، ٢٠٠٥م.

٤ - الكشف عن النظام القيمي في التصور القرآني للإنسان: والمنهج الموضوعي يبرز: لماذا ذُكر الضعف؟ ولماذا قُرِن التكريم بالخلافة؟ وما العلاقة بين العبودية والتشريف؟[١] .

٥ - ملاءمة المنهج الموضوعي للدراسات المعاصرة: الدراسات الحديثة تقوم على: (النظرة الكلية. - التركيب. - ربط الجزئيات بالكليات. ، وهو ما يحققه المنهج الموضوعي بدقة[٢] .

ب: مميّزات اعتماد المنهج الموضوعي في دراسة الإنسان بين الضعف والتكريم

١ - تحقيق الشمول والاستيعاب: يجمع المنهج الموضوعي: (جميع آيات الضعف - وجميع آيات التكريم - وسائر الآيات المتصلة بالإنسان وبذلك يعطي تصويرًا قرآنيًا كاملًا غير مبتور[٣] .

٢ - إبراز التوازن في النظرة القرآنية للإنسان: والمنهج الموضوعي يثبت أن القرآن:

[لا يُغرق في تمجيد الإنسان. - ولا يبالغ في تحقيره. - بل يوازن بين ضعفه وتكريمه] [٤] .

٣ - تحرير الباحث من التجزئة والتكرار: الدراسة الموضوعية:

* تمنع تكرار الأقوال المتفرقة. * وتُغني عن التشتيت في مظانّ التفسير[٥] .

٤ - إبراز المقاصد القرآنية في الحديث عن الإنسان: فالحديث عن:

الضعف ← يقود إلى التواضع والعبودية. التكريم ← يقود إلى تحمّل الأمانة والخلافة[٦] .

٥ - خدمة الدراسات العقدية والتربوية: يساعد المنهج الموضوعي على:

* بناء التصور العقدي المتوازن للإنسان. * وتصحيح المفاهيم التربوية.

* ومواجهة النزعات المادية التي تُهمِل البعد الروحي[٧] .

٦ - القدرة على الربط بين النص والواقع الإنساني: فالمنهج الموضوعي لا يكتفي بالنصوص ؛ بل يربطها بواقع الإنسان المعاصر (في ضعفه. - وأزماته. - ومسؤوليته الحضارية [٨] .

(١) محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص ٤٠–٤٢، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.
(٢) عبد الرحمن بدوي، مناهج البحث العلمي، ص ٦٢، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤م.
(٣) مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص ٢٩.
(٤) سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢١٢٠، دار الشروق، القاهرة.
(٥) صلاح فضل، مناهج النقد المعاصر، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م، ص ٦١.
(٦) الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ٩، دار المعرفة، بيروت .
(٧) يوسف القرضاوي، الإيمان والحياة، ص ٤٥، مكتبة وهبة، القاهرة.
(٨) محمد عمارة، الإنسان في الإسلام، ص ١٧، دار الشروق، القاهرة.

خامساً: أثر المنهج الموضوعي في إبراز العلاقة بين الضعف والتكريم

من أعظم مميزات المنهج الموضوعي في هذا الباب: أنه يثبت أن الضعف لا ينفي التكريم، وأن التكريم لا يلغي الضعف ؛ بل هما حقيقتان متلازمتان: (ضعف يدعو إلى العبودية - وتكريم يؤهل للخلافة [١] .

ومما سبق يتبيّن أن اعتماد المنهج الموضوعي في دراسة تصوير القرآن الكريم للإنسان بين الضعف والتكريم ليس اختيارًا شكليًا، بل هو: [ضرورة علمية، وحاجة منهجية، ووسيلة معرفية تكشف عن: عمق التصور القرآني للإنسان ؛ وتوازنه؛ وواقعيته ؛ وشموله] .

المطلب الثالث: تصوير القرآن للإنسان في جانب الضعف

أولا: صورة الضعف الجبلي فى الإنسان

أ: الخلق من ضعف:

قضية الإنسان من أعظم القضايا التي عالجها القرآن الكريم، إذ عرضها في إطار متوازن يجمع بين: * الضعف الجِبِلِّي الملازم لطبيعته .

* والتكريم الإلهي الذي رفع قدره وشرّفه بالخلافة والتكليف.

ويُعدّ الضعف الجبلي سِمةً أصيلة في تكوين الإنسان، قصد بها القرآن ثلاثة آتية:

* تذكيره بفقره إلى الله. * وحاجته الدائمة إلى التوفيق الإلهي . * وضعف قدرته عن الاستقلال بذاته.

ب: معنى الضعف الجِبِلِّي لغةً:

الضعف لغةً: الضعف ضد القوة، ويُطلق على الهزال في البدن، والعجز في القدرة[٢] .

الجِبِلّة: الطبيعة والفطرة التي جُبل الإنسان عليها[٣] .

ت: الضعف الجِبِلِّي اصطلاحًا:

هو: «الضعف الملازم لطبيعة الإنسان من حيث الخِلقة، والعجز، والحاجة، والنقص في القوى» .

(١) مصطفى مسلم، التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، ص ٤١.

(٢) ابن منظور، لسان العرب، مادة (ضعف ، ج ٩، ص ١٩٨، دار صادر، بيروت.

(٣) الفيروزآبادي، القاموس المحيط، مادة (جبل ، ص ١١٦٨، دار الفكر، بيروت .

ث: أصل الضعف الجِبِلِّي في القرآن الكريم:

أوضح القرآن أن الضعف متأصل في أصل تكوين الإنسان منذ نشأته الأولى، قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء / ٢٨ ؛ ففي تفسير ذلك قال ابن كثير: «أي: ضعيف العزيمة أمام الشهوات والغرائز» (١)، وقال الطبري: «ضعيفًا عن احتمال تكاليف الشريعة إلا بعون الله» (٢) .

ج: مظاهر الضعف الجِبِلِّي في الخلق الإنساني

١ - الضعف في النشأة الأولى: قال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً﴾ (الروم / ٥٤ ، في تفسير الآية قال الرازي: «بدأ الخلق بالضعف لينبّه الإنسان على عجزه الذاتي» (٣).

٢ - الضعف الجسدي: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ﴾ (النحل / ٧٠ ، يوضح ذلك القرطبي فيقول: «في الآية دليل على ضعف البنية الإنسانية مهما بلغت من القوة» (٤) .

٣ - الضعف النفسي والعاطفي: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾ (المعارج / ١٩ ، وفي هذا يتحدث الزمخشري فيقول: «الهلع شدّة الجزع والطمع، وهو ضعف في الطبع» (٥) .

٤ - ضعف الإرادة أمام الشهوات: قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء / ٢٨ ، قال الشوكاني: «فيه دليل على ضعف الإنسان عن مجاهدة الشهوة دائمًا» (٦) .

ح: الحكمة من تصوير الضعف الجِبِلِّي في القرآن الكريم

١ - ترسيخ معنى العبودية: فالضعف يدفع الإنسان إلى: (التواضع – الانكسار - الافتقار إلى الله (٧) .

٢ - بيان الحاجة إلى التشريع والتخفيف: قال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء / ٢٨ (٨) .

(١) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٢، ص ٢٤٧ دار طيبة، الرياض .
(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٨، ص ١٤٥، دار هجر، القاهرة .
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٥، ص ١٢٠، دار الفكر، بيروت .
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ١٠، ص ٨٠، دار الكتب المصرية .
(٥) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٣٩، دار المعرفة، بيروت .
(٦) الشوكاني، فتح القدير، ج ١، ص ٤٧٣ دار ابن كثير، دمشق .
(٧) انظر: ابن القيم، مدارج السالكين، ج ١، ص ٧١، دار الكتاب العربي، بيروت .
(٨) انظر: الشاطبي، الموافقات، ج ٢، ص ٧، دار المعرفة، بيروت .

٣ - منع الغرور بالطاقة البشرية: قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء / ٨٥ [١] .

خ: الضعف الجِبِلِّي لا يناقض التكريم الإلهي

رغم هذا الضعف، فإن الله تعالى قال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء / ٧٠ ، يقول ابن عاشور: «التكريم هنا تكريم تشريف، لا يلغي ضعف الطبيعة البشرية» [٢] ....

فالإنسان: * ضعيفٌ في خِلْقته. * مكرَّمٌ في غايته . * مُكلَّفٌ في رسالته.

من هذا يُبرز لنا القرآن الكريم الإنسان في صورة دقيقة متوازنة، فيصوّره:

* ضعيفًا في أصل خلقه . * قاصرًا في قواه . * محتاجًا في وجوده .

بذلك يتربّى على: * العبودية . * التواضع . * عدم الاغترار بالقوة.

غير أن هذا الضعف لم يكن نقصًا في قيمته، بل كان مدخلًا لتكريمه ب:

* الاستخلاف . * العقل . * الوحي . * التشريع.

ثانيا: صور الضعف الأخلاقي والسلوكي

أ: قابلية الانحراف: يعرض القرآن الكريم الإنسان عرضًا واقعيًا متوازنًا، فيجمع بين التكريم الإلهي من جهة، وإبراز مواطن الضعف الأخلاقي والسلوكي من جهة أخرى، ليؤسس بذلك منهجًا تربويًا قائمًا على:

* معرفة حقيقة النفس * التحذير من قابلية الانحراف * فتح باب التزكية والإصلاح.

ولا يقصد القرآن من هذا التصوير تحقير الإنسان، بل تقويمه وتهذيبه، وربطه الدائم بالله تعالى[٣] .

* مفهوم الضعف الأخلاقي والسلوكي في الميزان القرآني:

١ - الضعف الأخلاقي: هو قصور الإنسان عن الالتزام بالقيم العليا نتيجة غلبة الشهوة أو الهوى أو حبّ العاجلة.

(١) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج ٤، ص ٢٢٢١، دار الشروق، القاهرة .

(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٦٧، الدار التونسية .

(٣) انظر: مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي، ص٢١ - ٢٢، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م، وكذلك انظر: محمد الغزالي، نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، ص ٤٤، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م .

٢ - الضعف السلوكي: هو ظهور هذا القصور في تصرفاته العملية كالظلم، والطغيان، والبخل، والجدال، والتكبر(١).

ب: تصوير القرآن للإنسان بالضعف الأخلاقي: يعرض القرآن الكريم صورا كثيرة لذلك أهمها:

١ - الظلم خُلُقٌ غالب في الإنسان: قال تعالى: ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ (الأحزاب / ٧٢ ، قال الطبري: «ظلومًا لنفسه بترك ما أُمر به، جهولًا بعاقبة أمره» (٢)، وفى ذلك وقال ابن عاشور: «وصف الإنسان بالظلم والجهل باعتبار الغالب من أحواله» (٣) .

٢ - الطغيان عند شعور الإنسان بالاستغناء: قال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾ (العلق / ٦: ٧ قال القرطبي: «أي يتجاوز الحد في الكبر والظلم إذا رأى نفسه غنيًّا» (٤)، وقال سيد قطب: «الاستغناء الوهمي هو منبع الطغيان في النفس البشرية» (٥) .

٣ - الشحّ والبخل من أمراض النفس: قال تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (الحشر / ٩ ، قال الرازي: «الشحّ مركوز في الطبع الإنساني، فلا ينجو منه إلا من زُكِّي» (٦) .

٤ - الجدال والخصومة من سمات الضعف الخُلقي: قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ (الكهف / ٥٤ ، قال ابن كثير: «أي شديد الخصومة بغير حق» (٧).

ت: تصوير القرآن للإنسان بالضعف السلوكي: ومن صوره التى عرضها القرآن الكريم:

١ - تقلب السلوك بين الفرح والبطر والجزع: قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا﴾ (المعارج / ١٩: ٢١ ، قال الزمخشري: «يجمع بين شدة الجزع عند البلاء، والمنع عند الرخاء» (٨).

(١) انظر: الراغب الأصفهاني، الذريعة إلى مكارم الشريعة، ص٣١، دار السلام، القاهرة، وانظر: ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج ١، ص ٧ دار المعرفة، بيروت.
(٢) الطبري، جامع البيان، ج ٢٠، ص ٢٧٩، دار هجر، القاهرة .
(٣) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٢، ص ٣٤٢، الدار التونسية .
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢٠، ص ١٢١، دار الكتب المصرية .
(٥) سيد قطب، في ظلال القرآن، القاهرة، ج ٦، ص ٣٩٤٥ دار الشروق .
(٦) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٢٩، ص ٢٤٩، دار الفكر، بيروت .
(٧) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج ٥، ص ١٨١، دار طيبة، الرياض .
(٨) الزمخشري، الكشاف، ج ٤، ص ٦٣٩، دار المعرفة، بيروت، .

٢ - ضعف الوفاء بالعهد: قال تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَّبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُم﴾ (البقرة / ١٠٠ ، قال القرطبي: «في الآية بيان ضعف النفوس عن الثبات على العهود» (١) .

٣ - الميل إلى الهوى في السلوك العملي: قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ﴾ (القصص / ٥٠ ، قال ابن القيم: «الهوى أصل كل انحراف سلوكي» (٢)

ث: قابلية الإنسان للانحراف في التصوير القرآني: وهذه القابلية غريزة فى الإنسان، وصورها:

١ - قابلية الانحراف مقرونة بحرية الاختيار: قال تعالى: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾ (البلد / ١٠ ، قال الرازي: «أي بيّنا له طريق الخير وطريق الشر، فهو قابل لكليهما» (٣) .

٢ - قابلية الانحراف بسبب وسوسة الشيطان: قال تعالى: ﴿فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ﴾ (الأعراف / ٢٠ ، قال الطبري: «الوسوسة سبب أول في انحراف السلوك الإنساني» (٤) .

٣ - الانحراف نتيجة الغفلة عن الذكر: قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ﴾ (الحشر / ١٩ ، قال ابن عاشور: «نسيان الله أصل كل انحراف أخلاقي وسلوكي» (٥).

ج: الحكمة من تصوير الضعف الأخلاقي والسلوكي وقابلية الانحراف: ومن صوره ذلك:

١. ترسيخ معنى العبودية والافتقار(٦) .

٢. فتح باب التوبة والإصلاح: قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ﴾ (البقرة / ٢٢٢ .

٣. بناء التربية على التزكية لا على المثالية الزائفة(٧) .

ح: الضعف الأخلاقي والسلوكي لا ينفي تكريم الإنسان: قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء / ٧٠ ، قال ابن عاشور: «التكريم ثابت للإنسان من حيث الأصل، وإن عرض له الضعف والانحراف» (٨) .

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج ٢، ص ٢٩٠.
(٢) ابن القيم، إغاثة اللهفان، ج ١، ص ١٠.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج ٣١، ص ١٩٢.
(٤) الطبري، جامع البيان، ج ١٢، ص ٢٣٣.
(٥) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ٢٨، ص ٧٥.
(٦) ابن القيم، مدارج السالكين، ج ١، ص ٧١، دار الكتاب العربي، بيروت .
(٧) محمد الغزالي، الإسلام والاستبداد السياسي، ص ٣٦، دار الشروق، القاهرة .
(٨) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج ١٥، ص ٦٧.

فالإنسان: قابل للانحراف بطبعه ؛ لكنه قابل للهداية بالتزكية، وهو مكرم بالعقل، والوحي، والتوبة.

ومن ذلك يبين التصوير القرآني أن الضعف الأخلاقي والسلوكي وقابلية الانحراف حقائق ملازمة للطبيعة البشرية، لا تهدف إلى تحقير الإنسان، وإنما إلى: تربيته على مجاهدة النفس، وربطه الدائم بالله، وبناء سلوكه على أساس التوبة والمراقبة والتقوى.

وبذلك يتحقق التوازن القرآني الدقيق بين: ضعف السلوك / وقابلية الانحراف / وشرف التكليف والتكريم .

المطلب الرابع: تصوير القرآن للإنسان في جانب التكريم

نترك الحديث عن الضعف الإنساني الذى بدأنا به لأنه طبيعة فى خلق الإنسان ؛ وننتقل إلى الحيث عن التكريم؛ الذى هو بمثابة منحة من الله تعالى للخالق للإنسان .

أولا: أسس تكريم الإنسان في القرآن الكريم:

ولتكريم الإنسان أسس في القرآن الكريم ؛ إذ يحتلّ الإنسان مكانةً مركزية في الرؤية القرآنية؛ إذ خاطبه القرآن بوصفه خليفة في الأرض، ومحلًّا للتكليف، وموضعًا للتكريم الإلهي. ولم يكن هذا التكريم عَرَضيًّا أو مجرّد تشريف معنوي، بل تأسّس على جملة من الأسس العقدية والخلقية والتشريعية التي تُبرز قيمة الإنسان وكرامته في مختلف أبعاد وجوده. والهدف من هذا الحديث بيان أسس تكريم الإنسان في القرآن الكريم، ونرى هذه الأسس تتضح بما يلي .

أ: التكريم بالخلق الحسن والتقويم السوي: من أبرز أسس تكريم الإنسان أن الله تعالى خلقه في أحسن صورة وهيئة، وميّزه عن سائر المخلوقات بحسن التقويم، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤ ، يدلّ هذا النص على أن الخِلقة الإنسانية خِلقة مقصودة بالتسوية والإتقان، تشمل البنية الجسدية والقدرات العقلية والنفسية، وهو ما يؤسس لكرامة أصيلة ملازمة للإنسان من حيث هو إنسان[1] .

ب: التكريم بنفخ الروح الإلهية: من أسس التكريم العظمى أن الله تعالى أضاف روح الإنسان إلى نفسه إضافة تشريف، فقال: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ (الحجر: ٢٩ ، والمراد

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٤٢٠–٤٢١، الدار التونسية للنشر، وكذلك: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٣٢، ص ١٠٥، دار إحياء التراث العربي.

من الإضافة هنا إضافة تشريف لا تجزئة، وهي دلالة على الارتقاء الوجودي للإنسان، وتميّزه عن باقي المخلوقات المادية[١] .

ت: التكريم بالعقل والعلم: العقل من أعظم وجوه تكريم الإنسان في القرآن؛ به كان التعليم، وبه استحقّ الخلافة، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١ ، ويرى المفسرون[٢] أن تعليم الأسماء رمز للقدرة العقلية والمعرفية، التي تُمكّن الإنسان من الفهم والتفكير والتعبير والتعلّم.

ث: التكريم بالخلافة في الأرض: جعل الله الإنسان خليفة في الأرض، وهو تكريم يتضمن الثقة والتمكين وتحميل الأمانة، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠ ، والخلافة تعني عمارة الأرض وفق منهج الله، وإقامة العدل، واستثمار الكون لصالح الإنسان في إطار المسؤولية الأخلاقية[٣] .

ج: التكريم بالتسخير الكوني: سخّر الله تعالى للإنسان ما في السماوات والأرض، وهو مظهر عملي لتكريمه وتمكينه، قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ (الجاثية: ١٣ ، والتسخير يدل على أولوية الإنسان في الانتفاع بالكون، مع التزامه بمنهج الاستخلاف وعدم الإفساد[٤] .

ح: التكريم بالتشريع وحفظ الضرورات: من أسس تكريم الإنسان في القرآن أن الشريعة جاءت لحفظ ضروراته الخمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال، وهو ما يرسّخ كرامته الإنسانية، قال تعالى: ﴿مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ (المائدة: ٣٢ [٥]).

(١) انظر: القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، دار الكتب المصرية، وانظر أيضا: الزمخشري، الكشاف، ج٢، ص ٥٦٧، دار المعرفة.

(٢) الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص ٤٥٨–٤٦٠، دار هجر، وابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج١، ص ٢١٦ دار طيبة .

(٣) انظر: أبو حيان الأندلسي، البحر المحيط، ج١، ص ٢١٧، دار الفكر، وانظر: محمد الطاهر بن عاشور، أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، ص ٤٦–٤٧ دار سحنون.

(٤) انظر: فخر الدين الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٧، ص ١٧٩، وكذلك انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٣٧٢، دار الشروق.

(٥) انظر: الشاطبي، الموافقات، ج٢، ص ٨–١٠، دار المعرفة، وانظر: وهبة الزحيلي، التفسير المنير، ج٦، ص ١٨١–١٨٢، دار الفكر.

ومما سبق يتبين أن تكريم الإنسان في القرآن الكريم ليس دعوى خطابية، بل هو منظومة متكاملة من الأسس: خَلقية، وروحية، وعقلية، وتشريعية، وكونية. وهذا التكريم يفرض على الإنسان مسؤولية كبرى في حفظ كرامته، والقيام بوظيفة الاستخلاف، وتحقيق العبودية الواعية لله تعالى.

ثانيا: مظاهر تكريم الإنسان في القرآن الكريم

جاء القرآن الكريم برؤية متكاملة للإنسان، تؤكد مكانته المتميزة في الكون، وتُبرز تكريمه تكريمًا شاملًا، ماديًا ومعنويًا، فرديًا وجماعيًا، باعتباره خليفة الله في الأرض وحامل الأمانة. ولم يكن هذا التكريم عارضًا، بل أصيلًا في أصل الخلق والتشريع والتكليف.

أ: التكريم بالخلق والتقويم: من أبرز مظاهر تكريم الإنسان أن الله تعالى خلقه في أحسن صورة وهيئة، وفضّله في الخِلقة على كثير من المخلوقات، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤ ، يدل التعبير ب «أحسن تقويم» على كمال البنية الجسدية، والتوازن النفسي والعقلي، مما يؤهل الإنسان للقيام بوظيفته في الاستخلاف والعبادة[١].

ب: التكريم بالعقل والعلم: كرّم الله الإنسان بالعقل، وجعله أداة الفهم والتفكير، وبه تميز عن سائر المخلوقات، ويتجلى ذلك في تعليم الله آدم الأسماء كلها، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ (البقرة: ٣١ ، ويرى المفسرون لذلك أن تعليم الأسماء رمزٌ للقدرة على المعرفة والتعلم والتعبير، وهو أساس التفوق الإنساني والحضاري[٢] .

ت: التكريم بالاستخلاف في الأرض: من مظاهر التكريم الكبرى إسناد مهمة الاستخلاف للإنسان، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ (البقرة: ٣٠ ، والاستخلاف يقتضي المسؤولية والحرية والقدرة على الإعمار وفق منهج الله، وهو تكريم م قرون بالتكليف[٣] .

ث: التكريم بالتسخير والرزق: سخّر الله للإنسان ما في السماوات والأرض، وهيأ له سبل العيش والانتفاع، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ ... وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (الإسراء:

(١) انظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٣٠، ص ٤٣٨.
(٢) انظر: الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، ج١، ص ٤٥٩.
(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢، ص ٢٠١.

٧٠ ، ويشمل هذا التكريم: تسخير الكون، والرزق الطيب، ووسائل النقل، والأمن[١] .

ج: التكريم بالحرية والمسؤولية: كرّم القرآن الإنسان بجعله كائنًا مختارًا مسؤولًا عن أفعاله، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣ ، فالحرية المقترنة بالمسؤولية الأخلاقية والتشريعية مظهر رفيع من مظاهر التكريم الإنساني[٢] .

ومن ذلك يتبين أن تكريم الإنسان في القرآن الكريم تكريم شامل، يبدأ من الخلق، ويمتد إلى العقل والعلم، ويتجسد في الاستخلاف والتسخير، ويتوَّج بالحرية والمسؤولية. وهو تكريم يُراد به بناء إنسانٍ واعٍ بكرامته، ملتزم بواجباته، محققٍ لغاية وجوده في عبادة الله وعمارة الأرض.

ثالثا: التكريم في القرآن الكريم بالتكليف والهداية

يقوم التصور القرآني للإنسان على الجمع بين التكريم والتكليف؛ فالتكليف الشرعي ليس عبئًا يُنقِص من كرامة الإنسان، بل هو في حقيقته مظهر من مظاهر تكريمه، إذ يدل على أهليته للفهم والاختيار وتحمل المسؤولية. كما تمثل الهداية الإلهية قرينًا للتكليف، تحفظ للإنسان كرامته وتوجهه نحو تحقيق الغاية من وجوده، ومن صور التكريم بالتكليف ما هو آتٍ . أ: التكليف بوصفه مظهرًا من مظاهر التكريم: كرّم الله تعالى الإنسان بتكليفه بالعبادة والالتزام بالمنهج الإلهي، قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات: ٥٦ ، ويُفهم من الآية أن التكليف دليل على اصطفاء الإنسان بالعقل والإرادة، إذ لا يكون التكليف إلا لمن يملك القدرة على الامتثال والاختيار. وقد قرر العلماء أن التكليف تشريف، لأنه يرفع الإنسان من مستوى الغريزة إلى مستوى المسؤولية الأخلاقية[٣] .

ب: ارتباط التكليف بالقدرة ورفع الحرج: من مظاهر تكريم الإنسان في التكليف مراعاة قدرته وطاقته، قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦ ، تؤكد هذه القاعدة القرآنية أن التشريع قائم على اليسر ورفع المشقة، مما يعكس عناية الله بكرامة الإنسان النفسية والجسدية، ويجعل التكليف منسجمًا مع الفطرة الإنسانية[٤] .

(١) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٢٣٢.
(٢) انظر: سيد قطب، في ظلال القرآن، ج٦، ص ٣٧٥٥.
(٣) انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، ج٢٨، ص ١٨٧.
(٤) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ج٣، ص ٤٢٠.

ت: الهداية الإلهية تكريم للإنسان: لم يترك الله الإنسان بعد تكليفه همَلًا، بل أمدّه بالهداية التي تعينه على أداء ما كُلِّف به، قال تعالى: ﴿إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ (الإنسان: ٣ ، وتشمل الهداية: هداية الفطرة، وهداية البيان والإرشاد عبر الرسل والكتب، وهي من أعظم صور التكريم؛ لأنها تحفظ للإنسان وعيه الأخلاقي وتجنبه الضلال(١).

ث: التلازم بين التكليف والهداية في حفظ الكرامة الإنسانية: يبرز التكريم القرآني في التلازم بين التكليف والهداية؛ فالتكليف دون هداية ظلم، والهداية دون تكليف تعطيل للإنسان عن دوره. قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾ (النساء: ١٦٥ ، وتدل الآية على أن «إرسال الرسل بالهداية يحقق العدل الإلهي، ويصون كرامة الإنسان من الجهل والاضطرار» (٢) .

إذن يتضح أن التكليف والهداية في القرآن الكريم ليسا قيدًا على حرية الإنسان أو انتقاصًا من كرامته، بل هما مظهران أصيلان من مظاهر تكريمه؛ إذ يؤكدان أهليته للعقل والاختيار، ويهيئان له الطريق لتحقيق إنسانيته الكاملة في إطار العبودية الواعية لله تعالى .

رابعاً: التكامل بين الضعف والتكريم في التصوير القرآني

يقدّم القرآن الكريم تصورًا متوازنًا لطبيعة الإنسان، يقوم على الجمع بين الضعف البنيوي الملازم له من جهة، والتكريم الإلهي الذي يرفعه ويؤهله للاستخلاف من جهة أخرى. وليس هذا الجمع ضربًا من التناقض، بل هو تكامل دلالي وتربوي يكشف عن حقيقة الإنسان في منظومة الهداية القرآنية، ويؤسس لفهم واقعي لمسؤوليته ووظيفته في الوجود. أ: تصوير الضعف في البنية الإنسانية: يصرّح القرآن الكريم بضعف الإنسان تصريحًا واضحًا، كما في قوله تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ (النساء: ٢٨ ، ويفسّر المفسرون هذا الضعف بأنه ضعف في الإرادة أمام الشهوات، وضعف في الصبر والاحتمال، وضعف في التكوين الجسدي والنفسي، وهو ضعف فطري لا يُقصد به الانتقاص، بل بيان حقيقة الإنسان واحتياجه الدائم إلى الهداية والتزكية، ويرى الرازي أن الضعف هنا «راجع إلى قلة احتمال التكاليف وميل النفس إلى اللذات العاجلة» (٣)،

(١) انظر: ابن كثير، تفسير القرآن العظيم، ج٨، ص ٢٥٠.
(٢) ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج٥، ص ٢٨٤.
(٣) الرازي، مفاتيح الغيب، ج١٠، ص ٩٠ .

ويؤكد ابن عاشور أن هذا الوصف «تمهيد للتشريع القائم على التيسير ورفع الحرج» (١).

ب: مظاهر التكريم الإلهي للإنسان: يقابل القرآن هذا الضعف بإعلان صريح عن تكريم الإنسان، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ (الإسراء: ٧٠ ، ويشمل هذا التكريم أبعادًا متعددة:

١. التكريم الخَلقي: في حسن التقويم: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (التين: ٤).

٢. التكريم العقلي: بمنحه العقل والقدرة على التعقل والبيان.

٣. التكريم الوظيفي: بالاستخلاف في الأرض وحمل الأمانة.

ويقرر القرطبي أن التكريم «عام في الصورة والعقل والتسخير والتمييز» (٢) .

ت: التكامل بين الضعف والتكريم: لا يعرض القرآن الضعف بوصفه نقيضًا للتكريم، بل يجعله مدخلًا إليه؛ فإدراك الإنسان لضعفه هو الذي يدفعه إلى التعلق بالله، وطلب العون، والالتزام بالهداية. ومن هنا يأتي التكليف الشرعي مناسبًا لطاقة الإنسان، قائمًا على اليسر والتدرج: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ (البقرة: ٢٨٦ ، وفى تفسير هذه الآية يؤكد سيد قطب أن «التكريم لا يعني العصمة من الضعف، بل يعني القابلية للارتقاء رغم الضعف» (٣) .

وهكذا يتجلّى التكامل: ضعف يستدعي الهداية، وتكريم يمنح القدرة على السمو.

وعلى ذلك فإن التصوير القرآني للإنسان يقوم على رؤية شمولية متوازنة، لا تمجّد الإنسان تمجيدًا مطلقًا، ولا تحطّ من شأنه تحقيرًا، بل تضعه في موضعه الحقيقي: مخلوق ضعيف مكرَّم. ومن هذا التكامل تنبع فلسفة القرآن في التربية والتشريع، حيث يُخاطَب الإنسان بما هو عليه، ويُرشد إلى ما يمكن أن يكونه في مدارج الكمال الإنساني.

(١) التحرير والتنوير، ج٥، ص ٤٢ .
(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٢٤٥ .
(٣) في ظلال القرآن، ج١، ص ٣٦٥ .

نتائج وتوصيات ومقترحات:

أهم نتائج دراسة تصوير القرآن للإنسان بين الضعف والتكريم والتوصيات والمقترحات

أولًا: أهم النتائج

١ - التكامل لا التعارض بين الضعف والتكريم: أثبتت الدراسة أن القرآن الكريم لا يعرض الضعف الإنساني بوصفه نقيضًا للتكريم، بل يقدّمه في إطار تكاملي؛ فالضعف صفة فطرية في الإنسان، بينما التكريم منحة إلهية تؤهله لتجاوز هذا الضعف بالهداية والتكليف. وهذا ما يفسره ابن عاشور بقوله إن وصف الإنسان بالضعف «تمهيد للتيسير لا للطعن في الكرامة الإنسانية» (١) .

٢ - الضعف أساس للخطاب التشريعي والتربوي: بيّنت النصوص القرآنية أن الإقرار بضعف الإنسان كان أساسًا للتشريع القائم على اليسر ورفع الحرج، كما في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَفِّفَ عَنكُمْ﴾ (النساء: ٢٨ . ويؤكد الرازي أن هذا التخفيف «مراعٍ لطبيعة الإنسان المركبة من شهوة وعقل» (٢) .

٣. التكريم مرتبط بالوظيفة لا بمجرد الخِلقة: خلصت الدراسة إلى أن التكريم القرآني لا يقف عند حدود الخِلقة الحسنة، بل يتجاوزها إلى التكليف والاستخلاف وحمل الأمانة، وهو تكريم مشروط بالالتزام بالمنهج الإلهي. ويشير القرطبي إلى أن من أعظم وجوه التكريم «تسخير ما في الكون للإنسان وتمييزه بالعقل» (٣) .

٤. التوازن القرآني في بناء صورة الإنسان: أظهرت الدراسة أن القرآن قدّم صورة واقعية للإنسان، تجمع بين ضعفه وغرائزه من جهة، وقدرته على السمو والترقي من جهة أخرى، وهو ما يمنع النظرة المثالية المفرطة أو التشاؤمية القاتمة، وقد عبّر سيد قطب عن ذلك بقوله: «هذا المخلوق الضعيف يحمل بذرة الارتقاء حين يستمسك بالله» (٤) .

ثانيًا: التوصيات العلمية والتربوية

١. التأكيد على الرؤية المتوازنة في الدراسات القرآنية: توصي الدراسة بضرورة إبراز التكامل بين الضعف والتكريم في البحوث القرآنية، وعدم الاقتصار على أحد الجانبين؛ لما في ذلك من

(١) التحرير والتنوير، ج٥، ص ٤٢ .
(٢) الرازى، مفاتيح الغيب، ج١٠، ص ٩١ .
(٣) القرطبى، الجامع لأحكام القرآن، ج١٠، ص ٢٤٥ .
(٤) في ظلال القرآن، ج١، ص ٣٦٦.

تحقيق للفهم الشامل للتصور القرآني للإنسان.

٢. توظيف نتائج التصوير القرآني في التربية الإسلامية: توصي الدراسة المؤسسات التربوية بإفادة المناهج التعليمية من هذا التصوير المتوازن، بما يرسّخ لدى المتعلم الشعور بالكرامة الإنسانية مع الوعي بالحدود والضعف، وهو ما يعزّز المسؤولية الأخلاقية والسلوكية[١] .

٣. تصحيح الخطاب الدعوي المعاصر: توصي الدراسة الخطاب الدعوي بالابتعاد عن تصوير الإنسان إما ككائن مدان على الدوام، أو مُمجَّد بلا ضوابط، والعودة إلى المنهج القرآني القائم على الجمع بين الرحمة والتكليف.

ثالثًا: توصيات الباحث

١. - يوصي الباحث كل من تفضل عليه الخالق بالقوة ان يضعها في طاعته لنصره الضعيف وأقامة الحق .

٢. - وصيه لكل مسلم الانكسار والتذلل لمن له الحق على الخلائق الله الواحد القهار .

٣. - على المسلم ان يزهد في دار الزوال ويتهيأ لدار القرار .

(١) انظر: دراز، دستور الأخلاق في القرآن، ص ٩٧ .

المراجع

أولا: القرآن الكريم.

ثانيا: كتب الحديث:

- صحيح البخاري. - صحيح مسلم. - فتح الباري، ابن حجر، دار المعرفة. - فتح القدير، الشوكاني، دار ابن كثير، دمشق.

ثالثا: المؤلفات:

١ - الإتقان في علوم القرآن، السيوطي، دار الفكر، بيروت.

٢ - إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي، دار المعرفة، بيروت .

٣ - الإسلام والاستبداد السياسي، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة .

٤ - أصول النظام الاجتماعي في الإسلام، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون، تونس .

٥ - إغاثة اللهفان، ابن القيم، دار المعرفة، بيروت.

٦ - الإنسان بين المادية والإسلام، عبد الرحمن حبنكة الميداني .

٧ - الإنسان في الإسلام، محمد عمارة، دار الشروق، القاهرة.

٨ - الإيمان والحياة، يوسف القرضاوي، مكتبة وهبة، القاهرة.

٩ - البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، محمد عبيدات .

١٠ - البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، دار الفكر .

١١ - البرهان في علوم القرآن، الزركشي، دار المعرفة، بيروت.

١٢ - تاج العروس: الزبيدي محمد بن محمد، من جواهر القاموس، الكويت: وزارة الإرشاد والأنباء، ١٣٨٥ - ١٤٠٧هـ.

١٣ - اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر، فهد الرومي، مكتبة التوبة، الرياض،١٩٩٧م.

١٤ - التحرير والتنوير، محمد الطاهر ابن عاشور، دار سحنون، تونس .

١٥ - تفسير القرآن العظيم، ابن كثير، دار طيبة، الرياض، ٢٠٠٢ .

١٦ - التفسير الكبير. فخر الدين الرازى، دار الفكر .

١٧ - التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار الحديث القاهرة، ٢٠٠٥م.

١٨ - التفسير المنير، وهبة الزحيلي، دار الفكر.
١٩ - التفسير الموضوعي للقرآن الكريم، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٣م.
٢٠ - الجامع لأحكام القرآن، القرطبي، دار الكتب المصرية، ١٩٦٧ .
٢١ - جامع البيان عن تأويل آي القرآن، الطبري، دار هجر، ٢٠٠١ .
٢٢ - الحديث والمحدثون، محمد أبو زهو، دار الفكر العربي، القاهرة.
٢٣ - الذريعة إلى مكارم الشريعة، الراغب الأصفهاني، دار السلام، القاهرة .
٢٤ - علم النفس القرآني، محمد شلبي، القاهرة: دار المعارف، د.ت .
٢٥ - في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة .
٢٦ - القاموس المحيط، الفيروزآبادي، دار الفكر، بيروت .
٢٧ - الكشاف عن حقائق التنزيل، ، الزمخشري، جار الله، دار الكتاب العربي .
٢٨ - لسان العرب، ابن منظور، دار صادر، بيروت .
٢٩ - مباحث في التفسير الموضوعي، مصطفى مسلم، دار القلم، دمشق، ٢٠٠٠م.
٣٠ - مباحث في علوم القرآن، مناع القطان، مكتبة وهبة، القاهرة، ٢٠٠٢م.
٣١ - مدارج السالكين، ابن القيم، دار الكتاب العربي
٣٢ - مفاتيح الغيب (التفسير الكبير ، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث - بيروت .
٣٣ - مقاييس اللغة: ابن فارس، أحمد بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت: دار الفكر، ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.
٣٤ - مناهج البحث العلمي، عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٨٤م.
٣٥ - مناهج النقد المعاصر، صلاح فضل، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٨م .
٣٦ - الموافقات، الشاطبي، دار المعرفة، بيروت .
٣٧ - النبأ العظيم، محمد عبد الله دراز، دار القلم، الكويت.
٣٨ - نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم، محمد الغزالي، دار الشروق، القاهرة، ١٩٩٦م.